طبيعته التآمرية. وقد وجد هرتسل في كرومر «أكثر الرجال الذين قابلتهم فظاظة»؛ امّا كرومر، من جانبه، فقد رأى في زائره اليهودي انه «متحمس متهور». وسجل هرتسل اللقاء في يومياته:

«بدأنا بالحديث رأساً. أعطيته موجزاً لمخططنا. وعندما ذكرت اننا نريد ان نقيم سكك حديد، قاطعني قائلاً: ' سنتكلم عن هذا فيما بعد ' .

«قلت: طبعاً، سنقوم بكل ما ترغب به الحكومة الانجليزية في هذا الخصوص؛ وأتيت على ذكر التقرير، واننا سوف نحتاج الى الماء، ومن النيل.

«قال: لا أستطيع ان اعطيك جواباً حازماً، حتى يرجع الخبير الذي وكّلته بهذا (غارستن، الوكيل الدائم لوزارة الاشغال العمومية) في خلال شهر.

«قلت: نحن نطالب فقط بالمياه الفائضة من النيل؛ مياه الشتاء الزائدة التي تجري عادة الى البحر ولا يستفاد منها؛ سنبني لها خزانات. وسألته ما اذا كان عليّ ان أزور بطرس [غالي]؟

«[قال:] نعم وقد أخبرته بأنك هنا.

«ثمّ ذهبت لأرى بطرس. [كانت] وزارة مصرية لا يستطيع المصريون فيها ان يعطوا أي أمر. خدم كثيرون يتسكعون في غرف الانتظار الواسعة. أرسلت بطاقتي، فأسرع بطرس الى استقبالي، وهو قبطي متقدم في السن، بدين، مترهل. بدأنا بحديث السياح، ثم انتقلنا الى الموضوع؛ وسأل هو، أيضاً، من أين تجيئون بالماء؟ فأطلعته، باختصار، على مشروع الري الذي هيأناه؛ وظل يوافقني، ونحن نشرب القهوة الى ان أُعلن مجيء القنصل النمساوي؛ وعند ذلك تركت»(٤٢).

وقد التقى هرتسل بالمسؤولين عن الري في مصر، وبالمستشار القانوني في وزارة العدل، والتقى باللجنة التي عادت من مسحها لسيناء. وفي اثناء تواجد هرتسل في القاهرة، أرسل كرومر خطاباً الى وكيل وزارة الخارجية البريطانية، ساندرسون، في ١٩٠٣/٣/٢٨، جاء فيه:

«بخصوص موضوع مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء، أرسلت البعثة تقريرها؛ وأهم مشكلة أمام المشروع هي توفير المياه. وهناك اقترح بأخذ الزائد من المياه في وقت الفيضان وتوصيله من تحت قناة السويس بسحارات، الّا انه ليس في استطاعي ابداء الرأي في هذا الخصوص قبل استشارة غارستن، وهو لن يعود قبل شهر. امّا الاقتراحات الاخرى عن انشاء الآبار والقنوات والخزانات لحفظ مياه الامطار المنحدرة من الجبال، فهي قليلة الأهمية، ولا تمانع الحكومة المصرية في مشروعات من هذا النوع.

«ذكرت للدكتور هرتسل والكولونيل غولدسميث، وهما، الآن، في مصر، ان عليهما ان يستشيرا محامياً محلياً كي يحرر مشروع عقد؛ وستقوم جهات الاختصاص المتعددة بدرسه، والنظر في ما يمكن اتخاذه من قرارات.

«فهمت من الدكتور هرتسل انه سيسافر الى لندن. انه متحمس بلا داع؛ فاحذر من الارتباط معه بأي شيء، أو التفاوض معه. ان غولدسميث أكثر اتزاناً في التعامل معه»(٤٣).

وحين استمع هرتسل لتقرير اللجنة، اعترض على بعض التعبيرات. وكما سجل في يومياته: «كنت أفضل لو ان القسم الاول من هذه الجملة قد حذف ' في حالتها الحاضرة لا يمكن السكن فيها؛ امّا اذا توفّر لها الماء، فيمكن السكن فيها ' . كذلك يجب ان لا يذكر السبب الذي من أجله نريد ان